يصحُّ في علاج فقر الدم والسَّقم وتارةً مؤذياً ضارًّا كما يجري للمصابين بضربة الشمس. ولكن اين ذلك مما ينسبهُ المستر ماتيوس الى شعاعهِ من القتل الفاجئ حتى ولو كان القتيل فارةً

فبقي الشعاع المجهول الذي يُنسب الى رُنتجن (Rayons X.) أقلّ من المحتمل انَّ المفاعيل التي يدَّعيها الطبيعيّ الانكليزي ناتجةٌ عن هذا الشعاع وان صحّ ذلك وقفنا على سرّهِ المكنون. ومما لا يُنكَر ان اشعَّة رنتجن لا تستطيع رأساً ان تأتي بالنتائج التي ذكرها المستر ماتيوس وانَّما تستطيع ذلك بالتوسُّط فانَّ اشعَّة ماتيوس باجتيازها في الهواء تكهربهُ فتجعلهُ بذلك قديرًا على نقل مفاعيل شتى اذ يحصل هناك مجرًى كهربائيّ لا يستحيل عند اشتدادهِ ان ينقل الى مسافة بعيدة ليس فقط تأثيرات شبيهة بما وصفهُ المستر غريندل لا بل مفاعيل أُخرى غير التي رواها

فالمرجَّح اذن عندنا ان الطبيعيّ الانكليزي لم يكتشف شعاعاً جديداً وانَّما اتَّبع في درس اشعَّة رنتجن وبيَّن بعض مفاعيلها الخصوصيَّة الممكنة. ومن ثمَّ لم يبقَ سبيل لاضطراب الجمهور وقلقهِ اذ تصوَّروا انَّ هذا الاكتشاف سوف يقلب ظهرًا لبطن احوال الحرب بنسف ادواتها وقتل محاربيها

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

وروى الدويهي في تاريخ الازمنة انه في سنة ١٦٠٧ انهارت جدران قلعة اهدن الى الارض وسقط البرج القبلي الذي كان فيه كنيسة فاعتنى الاسقف عميرة مع اولاد القرية بتشييد السور البرّاني وطيَّنوا القبو الجواني وكرسوه على اسم السيدة »

ومما سعى فيه عميرة في مدة اسقفيته ادخال الحساب الغريغوري في طائفته كما روى عنه كل مؤرخيه وقد نال الطائفة ضيق كثير من جراء ذلك خصوصاً في حلب ودمشق

وقد عثرنا على كتابة حرَّرها المطران بطرس العاقوري (١ في بعلبك في بيت الشدياق مخائيل بن الياس على انجيل نسخ سنة ١٨٠٣ يونانية (١٤٩٢م) في قرية حدشيت في «جبل لبنان» من يد يوحنا [illegible] من حدشيت وهاك ما جاء فيها بحرفه اثبتناه لئلا تفوت فائدته وموضوع الكتاب ادخال هذا الحساب الغريغوري في الطائفة المارونية:

« انه لما كان تاريخ ١٦٠٥ اشترا هذا الانجيل المقدس الشدياق مخايل بن الياس يعرف بابن الشدياق من محروسة بعلبك بثمن ٧٢ غرشاً من القس مخايل البشراني النصف منه والنصف الآخر من مال الجماعة الموارنة الكاثوليكيين التابعين الكرسي البطرسي وتحت امر البابية الاطهار وهو وقف مخلد اوقفه المذكورون اعلاه الى كنيسة بعلبك المعروفة بستنا السيدة بحارة الموارنة صدقة عنهم وعن والديهم وعن اولادهم . وكان كتبة هؤلاء الاحرف نهار الاربعاء في ٢٥ من حزيران ١٦٠٦ . وفي تلك السنة امر قدس سيدنا البطريرك كل طائفة الموارنة ان يعيدوا عيد الرسل مع اخواننا الافرنج كما عيَّدوا اولاد الكنيسة وعيدت اهل البلاد كلهم نهار الخميس قبل عيد الطوائف بعشرة ايام: جبة بشري وطرابلس والعاقورة وبلاد جبيل والبترون . وباقي البلاد ما كان وصل لهم خبر عيدوا مع الطوائف وصار خلف بين الطوائف على هذا الامر »

وفي ٢٦ آذار ١٦٠٨ انتقل الى راحة الصالحين البطريرك يوسف الرزي بعد ان أدى لطائفته خدمات جليلة مدة احدى عشرة سنة وكان لهُ دالة على يوسف باشا سينما فنال منهُ اوامر مختلفة مآلها ان لا يُعارض الموارنة في تغيير حساب الصوم والاعياد ولا في امورهم الدينيَّة واحوالهم الشخصيَّة . واما تعلقه بالكرسي الرسولي فيدلك عليه ادخاله بعض عادات اللاتين في طقس الموارنة الناها البابا بولس الخامس فيما بعد

ولم يتمّ عقد المجمع الانتخابي في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك كما جرت العادة بسبب اضطراب الاحوال فاستمرَّ الكرسي البطريركي فارغاً تسعة اشهر اي الى ١٦

١) هو المطران بطرس بن حليب العاقوري انتقل الى رحمة الله في قرية البادية ١٦٠٦ ونقلت جثته الى دير جرجس بيروت ودفنت فيه وكان حسن السيرة كثير العبادة صنَّف مدائح كثيرة على لحن العرب (الدويهي تاريخ الازمنة)

ت ١ الذي فيه انتخب يوحنا بن مخلوف الهدناني بطريركاً باتفاق الآراء. كما جاء في العريضة التي سنذكرها بُعَيد هذا ولولا ظروف ألمحت اليها بعض الرسائل لانتخب المطران جرجس عميرة

اما البطريرك الجديد فاثبته البابا بولس الخامس سنة ١٦٠٩ واوعز الى الكاهن غسبار القبرسي ان يسلمه براءة التثبيت والدرع لان البطريرك عيّنه لذلك وكان ذهب الى رومية بامر البطريرك القس جرجس مارون (١ والقس الياس بن الحاج حنـا (٢

---

١) جرجس بن مارون الهدناني ارسله البطريرك يوحنـا مخلوف سنة ١٦٠٨ الى رومية لطلب التثبيت مع الخوري غسبار القبرسي والقس الياس بن الحاج حنا والشماس يوسف الكرمـداني استصحب ١٣ تلميذاً للمدرسة الرومانية. عاد في السنة التاليـة ثم سيم اسقفاً على قبرس ١٦١٦ وكانت إقامته في الجزيرة قليلة لان البطريرك كان يعهد اليه بامور كثيرة فانه عاد فارسله الى رومية سنة ١٦١٩ ثم ١٦٣٣ . سعى بعقد معاهدة بين الامير فخر الـدين وغراندوق توسكانا والبابا بوجبها تعطى القدس للغراندوق ويُجعل تاديو باربريني ملكاً لقبرس. وله اجتهاد مشكور في نسخ الكتب الف كتاباً في انساب عيال لبنان (فُقد) . انتقل الى دار البقاء في اوائل سنة ١٦٣٦ . اطرأ صفاتيو جبرائيل الصهيوني.

٢) القس الياس بن الحاج حنا عم البطريرك اسطفان الدويهي بن بولس الاهدني من عائلة الصراصرة كان رجلاً عابداً ذا غيرة في امور الدين ربي في دير قزحيا ثم ارسل الى القدس حيث اقام بدة عشرين سنة. ارسله البطريرك مخلوف الى رومية مع الوفد لطلب التثبيت عاد في اواخر سنة ١٦٠٨ ثم اعتنى مع يوسف الكرمـداني بنسخ الكتب وتنقيحها. ولما كان كاهناً اخذ منشوراً من البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني وجمع دو والقس يوحنا يزعبي المعروف بالارمني مالاً من الطائفة لشراء محل في القدس فتوفي الى ذلك في سنة ١٦٣٢ التي فيها ذهب القس الياس المذكور وابن خاله القس انطونيوس بن ابرهيم الاهدني الى القدس واشتريا دار الأرّي في محلة النصارى من اولاد حنا بن يعقوب الكسار المارونـي الـذي كان ترجمان دير صهيون في محلة الرحبـة بالقرب من كنيسة مار جرجس الخضر ثم اشترى ايواناً كبيراً من رجل سريـاني يعرف بابن الراهبة بـ ١٣٠ غرشاً واضافه الى دار الأرّي واشترط ان يقدم من ريعه مقداراً معيناً لقبر المسيح عن نفس الواقف. وخدم موارنة حلب مدة وفي القدس نسخ الانجيل وسائل القديس بولس في شهر آب سنة ١٦٣٠ . واتخذه دي شـطويل مرشداً له واثنى على صفاته الكهنوتية كاتب سيرة هـذا الحبيس . له زجليات في الكرشوني في مار يوسف الباز وتاريخ الطائفة في مكتبة باريس (مخطوط ٢٧٥ سرياني) . سامه عميرة اسقفاً ١٦٣٨ على امدن وحلب فتح سوق الدامة في زغرتا واضافه الى الكنيسة وفي سنة ١٦٥٢ زار موارنة قبرس للتثبيت ورسامة القـوس وسعى بتنبير الدويهي الى رومية وظن انه هو الذي سعى بـه لدى نائب دمشق سنة ١٦١٦ بسبب تنبير الحـاب : توفي سنة ١٦٥٩

ويوسف الكرمسداني . وقد سلّم اليهم البطريرك ١٣ تلميذًا للمدرسة الرومانية ليوصلوهم اليها امنين

ونعرف عن المطران عميرة في تلك الايام ان كثيرين كانوا يزورونه ليستنيروا بعلمه ويطلبوا مساعدته في اعمالهم وكان هو يغتنم كل فرصة ليعرب للكرسي الرسولي عن شديد تعلقه ويبسط لهُ حالة رعيته ويصف اتعابهُ والمصاعب التي تكتنفه ، من ذلك عريضة الى الحبر الاعظم ارسلها مع الراهب الكرملي الاب فنشنسيوس (منصور) الملقب بالقديس فرنسيس فاطلع عليها قداسته وبعث اليه رقيماً في ١٠ تموز ١٦١٠ اليك ما جاء فيه :

« تلونا رسالة اخوتك وامعنا الى ما عرضهُ ولدنا الحبيب والكاهن الورع المضطرم غيرةً مقدسةً فنشنسيوس الملقب بالقديس فرنسيس من رهبنة الاخوة الكرمليين الحفاة الذي اطلعنا على عنايتك وسهرك على رعاية الخراف الموكولة الى امانتك. فانه قد نالنا تعزية كبرى من اخبار فضيلتك كما اننا نتألم كل التألم للاتعاب والضيقات التي اخبرتنا انك مكتنف بها ولكن بما انك لا تجهل ان المهمة الرعوية مملوءة عناء وانشغال بال كما يؤيد لنا ذلك اختبارنا اليومي نحن الملتزمين بان نعتني لا بكنيسة واحدة بل بالكنائس اجمع فينبغي ان تتعزّى بالثقة الواجب ان نضعها في جود رب البيت الازلي الذي دعانا الى مثل هذه المشاغل. فاننا موقنون انه اذا استمرونا ثابتين واهتممنا بالمتاجرة الجدّية بالوزنة التي تسلّمناها يكون ثوابنا جزيلاً لدى ذلك الغنيّ بالرحمة نظير تعبنا ووفور صبرنا لنؤدّي حساباً رابحاً عنها. ولا نرتاب قطّ ان اخوتك تتمم كل ذلك بتقوى وحكمة ولذا نحبك كثيرًا بالرب ونسأل الله من صميم الفؤاد ان يجود عليك بالتعزية في اعمالك الرعائية . وولدنا الحبيب فنشنسيوس الملقب بالقديس فرنسيس حامل رسالتنا اليك يزيدك وثوقاً من محبتنا لك ومن رغبتنا الشديدة في ان تنال كل سلوى في القيام بحقوق وظيفتك الرعوية . فليثبتك الربّ الاله في كل عمل صالح وينظر اليك بعين انت المجتهد لتمجيد اسمه الكلي القداسة وليزيد نفسك نعمة وفضيلة . اما نحن فبكل حبّ نباركك »

انك تعلم من هذا الرقيم انهُ كان للرهبان الكرمليين علائق مع المطران جرجس عميرة وربما كان لهم رغبة من ذلك الوقت في فتح رسالة في لبنان وستحقّق رغبتهم بعد ارتقاء مطران اهدن الى السدة البطريركيّة

وكانت مهام الوظيفة الرعائيّة تستغرق كل اوقات المطران جرجس عميرة فتشغله عن العناية بتأليف الكتب وفحصها وقد وقفنا على طبعة المزامير الثانية التي انجزت

في مطبعة قزحيا سنة ١٦١٠ وفي مقدمتها اجازة الطبع اعطاها المطران عميرة ننقلها بالحرف مع ما يليها لما فيها من الفوائد التاريخيّة

«انا الحقير بين المطارنة جرجس بن عميرة الحدناني نظرت وقرأت هؤلاء المزامير وما وجدت فيهم شيئاً يضاد الامانة الارثوذكسية لكن نافعين لخلاص نفس من يقرأ فيهم

وبعد ذلك :

«كمل بعون الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب المزامير المقدس وتسبحة موسى واشيا والانبياء المكرمين وتسبحة ستنا وسيدتنا مريم والدة الله وصلاة ابينا القديس ماري افرام السرياني وكان الفراغ منه بتاريخ ١٦١٠ مسيحية سنة وعشرة والف في تشرين الثاني المبارك على يد المعلم بشكالي إلي من مدينة كامريتو المحروسة وعلى يدي انا الحقير الضعيف يوسف باسم شماس بن المرحوم القس داود المتكنى بعيلة بيت عيسة من قرية كرم سدي المحروسة والاب القس الياس بن المرحوم الحج حنا بن بولس من قرية اهدن والشماس يوسف بن بونان الذين كانوا يشتغلون معنا بهذا الكتاب . اما الباعث بهذا الكتاب وغيره هو الاب الموقر خالي المطران سرجيوس الرزي مطران الشام المحروسة الذي اجتهد وحمل هذه الحملة الثقيلة ووضع ذاته تحت دين له صورة (معتبر) حتى استطاع يكمل وساق هذا الشغل لكيما انه يفعل امر يكون في اصطلاح وخدمة البيعة المقدسة والامانة المستقيمة الواحدة الكاثوليكية الرسولية ومنفعة انفس الذين يطلبون الخلاص ونظافة كتب البيعة المقدسة من جميع الغلطات ولكيما ان كل من يقرأ هذا الكتاب وغيره المشابه فيه يطلب الرحمة في تذكار الخير والبركة لاباته واعمامه المرحومين ذوي الذكر الصالح وهم البطريرك مار ميخائيل والبطريرك مار سرجيوس وفي الاكثر اخيه الاب المرحوم خالي البطريرك مار يوسف الذي كان من ذلك في خاطره كثير ينظف طائفته ورعيته من جميع انواع الرغل ويجمايا تمشي بكلية مع البيعة المقدسة التي بغيرها لم يحصل خلاص للمؤمن كما انه فعل ايضاً في بقية الامور الضرورية التي جا جهر غيرته ومحبته نحو الامانة الارثوذكسية الرومانية التي جهرها وزاد ارتفاع اسم سيدنا الاب المقدس الطوباني الفافا (بابا) رئيسها نائب السيد المسيح على جميع المسكونة باسرها وهو وحده خليفة مار بطرس الرسول وتعظم شأنه الجليل الموقر في جميع نواحي بلاد الشرق وهكذا بغيرة روحانية واجتهاد وحرص تعظيم حتى ان جميع بني البيعة المقدسة وخصوصاً الاباء المبجلين روساها واكابرها فرحون فيها غاية ما يكون بالاكثر سيدنا الاب المقدس الطوباني مار بولس الخامس باسمه الذي حيينا انه نظر غيرته ومحبته الصافية نحو البيعة المقدسة ونحو قداسته انشرح كثيراً وجعل لهُ شان وصيت ممدوح الى الابد . وليكن له تذكار ابدي في البيعة المقدسة ارتفعت قداسته تأمر من ارتسم من بعده بدرجته يكون يمشي بسيرة غيرته المشهورة . كما ان هذه جميعها هي وغيره ايضاً هو موضوع في رسوم البركة المكرم الذي ارساله قداسته اخيراً الذي فيه ايضاً انعم عليه بالتثبيت على اسم الكرسي المعظم وهو الكرسي البطريركية الانطاكية

على طائفته وكان انتقاله لرحمة الله في تاريخ ١٦٠٨ ربانية في نهار ٢٦ اذار الرب يجعله في الراحة الابدية في ملكوته السماوية والذي يقرأ في هذا الكتاب المبارك يذكر بالرحمة والذكر الصالح لخالي المطران سركيس واخيه خالي العزيز الشدياق الياس ولابيهم المرحوم موسى ولاعمهم الحجّي المكرمة ولعمهم المرحوم القس جبرايل جدي واولاده العزيزين اخوالي الخوري مخايل واخوته وابن اخيه الشدياق انطونيوس واخيه جرجس ويذكر ايضاً السيد المكرم الشيخ الشدياق خاطر بن المرحوم الشدياق شاهين من قرية حصرون المحروسة والسيد المبجّل الخواجه سمعان مارا الشيخ الموقر الفضيل صاحب الفضل الجزيل والانعام الجميل لجميع الاباء والاخوة المباركين القاطنين في الوادي المقدس وقزحيا وهم الاب الخوري موسى والقس ضوميط والمعلم يوسف والراهب الياس بن المرحوم الحج فارس والراهب مخايل والاب الخوري جبرايل والقس مخايل والقس بطرس وارفاقهم. الربّ يثبتهم ويجعل لنا ولهم ولسائر بني المسيحية المقدسة في مينة الخلاص امين والحمد لله وحده دائماً

ارزة بلبنان لطول الدهر تلينا — محل الختم — هذه شفيعة لنا بالديق (الضيق) تاجينا
وبهن انعام من الشرش غلينا — صورة — اذا استغثنا ومن الضيق تنجينا
في حضنها غيب والدم يسقينا — ارزة — انظر اشمالي وتأمل معاينا
من صدره الحياة وبحياة يقينا — وغيب — واجعل به رجاك رجا البحر والمينا

وحول الارزة والغيب: Sergius Rizius archiepiscopus Damascenus

بالحبس المكرم الكاين في وادي قوزحيا في جبل لبنان المبارك على يد الحقير يوسف بن عميره باسم شماس في تاريخ ١٦١٠ ربانية »

فكل هذه الاعمال كان يأتيها هؤلاء الافاضل ابان الاضطرابات المتواصلة التي يصور لك هولها ما ذكره التاريخ عن نتائجها الوخيمة فان في مدة ١٦ سنة خُرِّبت المظالم نحو ٦٥ الف قرية ومزرعة في السلطنة العثمانية وحدثت مجاعات عديدة وغلاء شديد لعدم تمكن الفلاح من استغلال ارضه التي كانت تحوّل غالباً الى ساحة قتال وكم مرّة نهبت البيوت والاديرة وقطعت الاشجار تشفياً وانتقاماً او تحصيلاً لمالٍ متأخر فان طريقة تضمين البلاد بمبلغ معلوم يقبضه رجال الصدارة كانت تأتي بأوخم العواقب لان الحاكم الضامن كان هو نفسه يلزم اناساً يدفعون له ما نقد الصدرَ الاعظم مع ربحه فتطلق ايديهم في الرعية يمرحون ويظلمون ويبطشون. ولم يكن الحاكم يبالي بحاجات السكّان ولا يعنى بامورهم بل يعتبرهم مادةً يستغلها وموردًا يرتزق منهُ وكثيراً ما كان يخرج الحكّام على الباب العالي فيوعز هذا الى حاكم مقاطعة قريبة ان يقتص من المارق فتدور رحى القتال في الولايات وتجلب عليها الخراب. وقد

يدعو احد المتقاتلين او كلاهما اهل البلاد الى الانضمام اليه فيبطل كل عمل مفيد ويتفرغ القوم الى النهب والسلب

وقد غادر البطريرك يوحنا مخلوف دير قنوبين فور انتخابه بل نزح من بلاد الجبة الى مجدل معوش بسبب الظلم الفاحش الذي انزلته بالبلاد الجنود التركية المرابطة فيها وبسبب سوء تصرف الشدياق خاطر مقدم حصرون فانه لما كان ذا كلمة نافذة في البلاد سولت له نفسه ان يتجاوز حدوده ويعتدي على حقوق البطريركية فحرمه البطريرك والتجأ الى بلاد الشوف لائذاً بالامير فخر الدين الكبير . فتلقاه الامير بكل ترحاب واكرام وسهل للنصارى ابتياع قرية مجدل معوش ببلغ قدره ١٢ الف غرش من سكانها المسلمين الذين كانوا قد تقسموا على بعضهم بعضاً وتفاقمت الحال بينهم فاتفق عقلاؤهم ان يقنعوهم بالهجرة الى ارض اخرى تفصل المتخاصمين بعضهم عن بعض . وقد بنى البطريرك داراً وكنيسة في مجدل معوش واستقام فيها حتى ذهابه لزيارة القدس

ونرجح ان المطران جرجس عميرة صحبه في انتقاله الى الشوف وهناك على ما نرجح ايضاً حظي بصداقة الامير فخر الدين وترجم له عن الايطالية كتاب هندسة في تشييد الابنية والابراج وربما كان الامير قد طلب اليه ذلك ليستعين به على وضع خطط البنايات الفخمة التي شيدها في مواضع عديدة من سورية ولبنان . وبسبب هذه الخدمة التي ادّاها جرجس عميرة عفى الامير الكرسي البطريركي من دفع الخراج

واما الشدياق خاطر فلم يلبث ان قصد مجدل معوش مع مشايخ الجبة ليلتمسوا من البطريرك مخلوف الرجوع الى كرسيه فاشترط عليهم شروطاً وعدوا بتنفيذها ومنها اعادة المطران يوحنا السواني ورهبانه الى دير قزحيا ومن ذلك نفهم ان هذا المقدم كان طردهم من بجبتهم

وفي سنة ١٦١٢ سافر فخر الدين الى ايطالية الى فلورنسة حيث اقام في ضيافة الفرانديق نحو خمس سنوات تمّ له في اثنائها ان يعقد اتفاقاً مع هذا الفرانديق بتوسط المطران جرجس مارون مطران قبرس ولمّا عاد الى بلاده نزل في عكا فاستقبله الامير علي اخوه

وما لبث ان زحف فخر الدين على جبيل فهدم قلعتها وولى على تلك البلاد

الشيخ ابا نادر الخازن الـذي وصفه الدويهي بهذه الكلمات البليغة : وكان الشيخ ابو نادر شديد الغضب وحسن الرضى شجاعاً حازماً منكراً الظلم وحافظاً سر بيت معن

وكان الحبر الاعظم بولس الخامس وقف على ما تحلى به الامير فخر الـدين من الصفات الممتازة وعلم انه يعامل النصارى عموماً وبطريرك الموارنة خصوصاً معاملة حسنة فكتب الى يوحنا مخلوف في ٧ ت ١ سنة ١٦١٠ يثني على الامير ويتمنى ان يثابر على خطته هذه ويوصي البطريرك ان يحافظ على حسن علائقه معه

وحدث في تلك الاونة (١٦١٠) ان بطريرك الكلدان ايليـا ارسل الراهب آدم الى رومية يلتمس من الحبر الاعظم ان يأمر بتعليمه قواعد الـدين الكاثوليكي وكان البطريرك المـاروني والمطران جرجس عميرة زوّداه كتابات توصية الى البـلاط الروماني فاقام آدم المـذكور في رومية مدّةً يجادل في امور الـدين ويسترشد باقوال المعلمين الماهرين واخيراً اظهر انه مقتنع وجحد الاضـاليل التي كان الكلدان لا يزالون متقيدين بـلاساها . فكتب الحبر الاعظم في ٨ نيسان ١٦١٤ الى البطريرك والى جرجس عميرة نائبه، ومن هذا الرقيم علمنا ان يوحنا مخلوف اتخذ عميرة نائباً له، يخبرهما بذلك ويعرب عن سروره بهذه النتيجة ويذكر انهما اوصياه به ثم يثني على يوحنا الحصروني (١

١) يوحنا الحصروني ابن قربافوس من بيت سندوق تلميذ المدرسة الرومانية ارسل اليها سنة ١٦٠٣ مع المطران يوحنا فهد الحصروني . اتقن ترجمة اللغات الشرقيـة وذهب الى باريس حيث عاون جبرائيل الصهيوني في تأليف الكتب وترجمتها فانما نشر اسوية كتاباً في آداب عـادات الشرقيين وترجما جغرافية الادريسي . وصنّف وحده مؤلفات اخرى منها كتاب في الاسرار . قد اخذ الملك على نفسه ان يقوم بنفقتها واباح لها ان يقيما في جامعـة فرنسة او في اي محل آخر يوافقهما بشرط ان يترجما الكتب من العربية والسريانية والتركية الى اللاتينية . وعين لهما راتباً مقداره مائتي غرش عدا بعض الدراهم خصصت بنفقاتها الشخصية (١٦١٨) وقـد عاد يوحنا الحصروني الى لبنان وسيم كاهناً وعلم الاولاد في بقرقاشا فوفده البطريرك يوحنا مخلوف لتهنئة اوربانوس الثامن بتبوئه الكرسي الرسولي (١٦٢٣) وكان برفقته الاب منصور اليسوعي واثنا عشر تلميذاً للمدرسة فقبله البابا بكل هشاشة واثنى في جوابه الى البطريرك على تقواه وعلمه وارسل معهُ تاجاً وكتباً واوانٍ بيعية ولما عاد يوحنا المذكور رسمه البطريرك اسقفاً معاوناً لـهُ واتخذ السكنى في دير مار جرجس بقرقاشا ومكث في الاسقفية اربعة اشهر ثم انتقـل الى راحة الابرار يوم احد الشانين ودفن في حصرون مسقط رأسه . ذكرهُ انقس الياس الزيري في زجليته مع كهنة حصرون عموماً : كهنـة من قرية حصرون . حنا رزق الله وآخرون . مخايل وفرحات بشير فنون . ويوسف معهم جملة

واسحق الشدراوي (١ تلميذي المدرسة المارونية اللذين ترجما كل الكتابات اللازمة من الكلدانيّة الى اللاتينيّة وبالعكس ومما قالهُ الحبر الاعظم انه كتب اليهما ذلك ليفرحا ويتعزيا بهذا العمل ويهنئا لانجاحه اهتماماً خصيصاً ويطلب منهما ان يقبلا آدم المذكور بكل محبة لانه عزيز لديه . وفي كتاب آخر الى البطريرك بالتاريخ نفسه يوصي بالابوين يوحنا مارْيَتي وبطرس المطوشي اليسوعيين اللذين عيّنا لمرافقة آدم المذكور لانه يثق كل الثقة بالبطريرك ولانه يحب هذين الموفدين محبة شديدة

سافر الابوان الى لبنان في غرة ك ٢ سنة ١٦١٥ ولما بلغا الى قبرس طرق آذانهما وهما في المَلاحة (الارنكا) ان آدم المذكور لم يفوضه بطريركه باتيان ما اتى من الاعمال بل اختلس خاتم البطريرك ووقع على العريضة المرسلة الى رومية . على ان الابوين واصلا سفرهما الى حلب حيث اجتمعا بآدم فارتابا بمسلكه وارادا ان يتأكدا من صدق نياته فلجأا الى المطران جرجس عميرة الذي كان اذ ذاك في حلب يتفقد احوال الرعية (ايار ١٦١٥) وطلبا منه ان يستكشف لهما حقيقة الامر لانه كان لآدم ثقة به ويسأله عمّا اذا كان لهُ ما يتشكى منه وهل ينقصه شيء . لانهما لا يريدان بعد هذا السفر الشاق وهذه الاسفار الّا ان يبذلا كل جهدهما في تتميم اوامر الحبر الاعظم . فاجابهما المطران عميرة بطيبة خاطر الى طلبهما وبصفته صديق الفريقين باحث آدم طويلاً فلم يرَ في اقوالهِ ما يدعو الى قلق بالهما وقد صرح لهُ آدم انه مستعد ان يكتب ما قاله ويختمه بخاتمه

على ان الحوادث اظهرت كذب آدم او انخداعه لان الابوين لم يحصلا على نتيجة من سفرهما هذا بخصوص القصادة الى الكلدان

اما احوال لبنان وما جاوره فكانت لا تزال قلقة فتوقف البطريرك عن سياسة الاساقفة للكراسي الفارغة بعد ان كان قد وقى الاسقف يوسف بن بشارة من بيت السوق من اهدن (١٦١٠) وجرجس بن مارون (١٦١٤ الذي كان يوفده البطريرك لقضاء مهمات الطائفة فلا يدع لهُ وقتاً للاهتمام بابرشيته . فكتب اليه البابا بولس الخامس يلفت نظره الى هذا الامر ويوصيه بان يرسم الاساقفة للكراسي الفارغة ولاسيما كرسي قبرس . وقد سبق لنا فقلنا انها كانت كالفارغة لان اسقفها لم يُقم فيها كما ان قسماً من الموارنة

١) سننشر ترجمته على حدة

كانوا بايعـاز البعض قد طلبوا من رومية ان ترسم لهم اسقفـاً لاتيني الطقس ففعلت واعطته لقب اسقف بافوس لكنه ما لبث ان حدث خـلاف بينه وبين الموارنة والفرنسيسكان انتهى بالغاء هذا الكرسي وسنفصل ذلك ان شاء الله في بحث خاصّ عن موارنة قبرس

ولم تكن الاحوال على اضطرابها (١ لتقعد تلامذة المدرسة المارونية عن مواصلة جهادهم في تأليف الكتب الدينية المفيـدة لطائفتهم والمعاجم من ذلك «المنـارة السريانية» التي ألفها جرجس الكرمـداني (٢ وقد علق على آخرها هذه الحاشية :

«كملت هذه المنارة السريانية على يد احقر وارذل الناس جرجس الكرمـداني بن يوسف تلميذ رومية العظمى في سنة ١٦١٩ مسيحية نهار الخميس في يوم ٢١ من شباط نصف النهار في مدينة طرابلس معاملة الشام في بيت الخوري يوحنا المتكئي (اللقاش. وصار هذا التعب والاجتهاد جميعه لاجل راغبين العلوم وفاحصين الكلام باللغة السريانية ولاجل التـذكر الصالح ومجد الله وكان معتني ومهتم معنا محبنا وعزيزنا القس مخايل الحصروني ابن اخي المطران يوحنا الدومتيكاني المشهور معلم وكارز ورسُول لبلاد الشام وحلب وطرابلس وبيروت وصيدا وفي زماني بدينا في جمع امثال وكلام هذا الكتاب ولمّيناه مع اخونا المذكور من كتب توراة الحديثة والشيقة ومن كتاب هوعتا ٥/٥ وا ٥٥٥تا وُحُكَمُا وكتاب مـار اسحق ومن بعض حيتونات وكتب آخر فلسفة وسنتيني ولوغيقو (Logica) وحتى ايضاً من لغات الحصارنة وصار ذلك في تعب شديد طويل بمدة ثلاثين سنة وازيد اعني صرفنا شبوبيتنا وجزء من الشيخوخـة في قراية وجمع وتفسير كلام وامثال الموضوعين امامك في هذا الكتاب والله يجـازي الخير في الدارين وكل

---

١) في سنـة ١٦١٦ كان فرق الصوم خمسة اسابيع بين الموارنة وسائر الطوائف فوشى بطريرك الروم بالموارنة الى حافظ باشا نائب دمشق فقبض على كاهنَي الموارنة القس الياس الهدناني وقد سبق لنا تعريفه وعلى القس مخايل ونظته الخوري مخايل تاتيلا من بقاع كفرا خـادم السيدة في دمشق (هو الذي تمرّف اليه الرحالة الايطالي دلّا فـالّه Della Valle وذكره في كتابه. نسخ ثلاثة نوافير للخوري رزق الله بن الخوري يوسف الباني تكون لكنيسة حلب . مات بعد ٣٠ نيسان سنة ١٦٣٦) فقدّم القس يوسف حلب عرضحالاً للنائب طلب فيه ان يجمعه بخصومه فلم يرضَ بطريرك الروم وانذلك سجنه النائب واذن للموارنة ان يبيّـدوا بموجب امر بطريركهم

٢) ذكره القس الياس عويضه في زجليته قـال : وخوري جرجس بن عنابّ . كان معلم وصاحب جواب . حيث رتّب من علمه كتاب . منارة السريانية . كان رئيس كهنـة طرابلس ثم سيم اسقفاً معاوناً للبطريرك وكان الخراطقة يخشونه كما جاء في التقريظ الذي نُظم فيه يوم جرى الاحتفال بمرور مائة سنة على تأسيس المدرسة المارونية . ونسخة من مجموعة هذه التقاريظ النفيسة موجودة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين

من تعب منا في هذا الكتاب ويرحم والديهم . امين »

وفي سنة ١٦٢٣ قدم الاب عبد الاحد مغربي اليسوعي لزيارة الموارنة فاتى الى قنوبين وأدخل اليه من باب مصنع بالحديد بعد ان قرع بُريباً مطلقاً فرقه ولما مثل امام البطريرك قبل يده باطنها وخارجها ورفعها الى جبينه علامة الاحترام كما هي العادة في الشرق ثم قدم كتابات قصادته فاستدعى البطريرك المطران جرجس عميرة وكان نائبه اذ ذاك ليترجمها له وكانت الغاية ان يستصحب معه تلامذة للمدرسة الرومانية فعاد الى رومية مع الخوري يوحنا بن قرياقوس الحصروني في سنة ١٦٢٥ وسفّر البطريرك معهما اثني عشر تلميذاً

وكان انه لما عاد فخر الدين من ايطالية فاستلم زمام الاحكام في لبنان وجواره سادت السكينة فكثر عدد النسّاك وشيدت المعابد والمدارس وقدم الى لبنان عدد من مرسلي الفرنج كالاخوة الاصفرين والكبوشيين فسكنوا في جبة بشري وكتب ده سيزي السفير الافرنسي في الاستانة في كانون الاول ١٦٢٤ الى المطران جرجس عميرة يوصيه بايوين كبوشيين افرنسيين آتيين الى لبنان . وكتب اليه المجمع المقدس ايضاً بناء على طلب ملك فرنسة لويس الثالث عشر كما يستدل على ذلك برسالة الملك الى السفير (١٠ ت ١ ١٦٢٤)

وفي تلك السنة اقام البطريرك مخلوف مدرسة في دير حوقا لتعليم الاحداث وإعداد المتفوقين منهم للمدرسة المارونية في رومية فتقصر بهذه التهيئة مدة اقامتهم في بلاد لم يألفوا مناخها فيُقتصد هكذا بنفقات باهظة تصرف بغير جدوى على الذين يمرضون في رومية او لا يثبتون في دعوتهم . ولا نخطئ بقولنا انه كان للمطران عميرة يد في هذا العمل ولا ريب ان هذه الفكرة الحميدة راقت الحبر الاعظم اوربانوس الثامن فاثبت هذه المدرسة في براءة تاريخها ٢٤ حزيران ١٦٢٥ وعيّن لها راتباً قدره ثلثمائة ريال وسنّ لها قوانين سديدة وفرض ان تدرس فيها اللغتان السريانية والعربية . اما اللاتينية فتُلقّن التلامذة الذين يتوسم فيهم النجابة ويرجى بلوغهم الى الكهنوت ليرسلوا الى رومية حيث يكملون علومهم . ويأمر الحبر الاعظم ان يمكن الراغبون في درس التركية والفارسية من تحصيل اصول هاتين اللغتين حتى تتوافر لديهم الوسائط للعمل في سبيل هداية الخارجين عن الكنيسة .

اما الفقراء فيقبلون متى كانوا من اهل الذكاء والاخلاق الطيبة . والموسرون واولاد الاعيان يتقاضون بدل المأكل والملبس . وقد استمرت هذه المدرسة مفتوحة حتى سنة ١٦٣٣ وفيها اقفلت بسبب احوال البلاد والاضطرابات وما اشبه

وكانت تلك الايام شديدة على الاهالي بسبب وباء فتك بالناس فتكاً ذريعاً وفحشت الاسعار من محل الارض حتى ان قلة الزيت بيعت بستة غروش وشنبل الحنطة بغرشين ورطل الحرير الابيض المترك بعشرين غرشاً . وعدّ ابن سيفا شجر الجبة فبلغ عددها في اهدن ٥٠،١٦٥ وكان قصده من ذلك استيفاء رسوم عليها اضافية فرحل الاهالي الى الشام وحلب وغيرهما خوفاً من البلص

اما الامير فخر الدين فاهتم بترقية البلاد في الاقتصاديات وتوفير اسباب الثروة الوطنية فسعى اولاً في ارضاء خليل باشا الذي ولّاه ايالة طرابلس ثم اجرى ساقية القاع وعمّر القليعات في ارض جون عكار ونصب في «المعراق» اربعة عشر الف نصبة توت ونصب بستاناً اكبر في ارض الحيصة (الدويهي)

وفي سنة ١٦٢٧ سيم الخوري يوسف بن حليب العاقوري(١ مطراناً على صيدا ثم جدّد بناء دير مار شليطا مقبس في قرية غوسطا في سنة ١٦٢٨ وهذا الدير جعل كرسيًّا للبطاركة يوم اصبحت اقامتهم في قنوبين غير مطمئنة

---

٤) يوسف بن حليب بن المطران بطرس بن الخوري سابا العاقوري من عائلة بيت الاشقر كان ابوه حسن العبادة صنّف مدائح كثيرة على لحن العرب مات في الميدية ودفن في بيروت ١٦٠٥ . اما الخوري يوسف ابنه فسيّمه البطريرك يوحنا مخلوف خورياً لموارنة دمشق وكان فيها سنة ١٦١٤ ثم سامه اسقفاً على صيدا ١٦٢٧ وارسله الى حلب وفيها نسخ كتاب الناموس الذي الفه المطران يوحنا الحصروني . كان شجاعاً متورعاً يحب العلماء غيوراً على امور الدين وبناء الكنائس دافع عن الحساب الغربي ايام كان في دمشق وخاض لقمين مخائيل واليأس واربعة من اوجه الطائفة من الحبس وبسبب براعته هرب بطريرك الروم خشية الانقلاب في الجدال فاستدعاه النائب وحبسه . وقد احتمل مشقات كثيرة من جهة قرقماس الذي جحد دينه وعذب اولاد الطائفة في دمشق . وقد كرّس كنيسة السيدة في الزبابنة ٦ تموز سنة ١٦٣٦ ووقف دير حراش للراهبات ولعلم الايتام من اولاد الطائفة ١٢ نيسان ١٦٤١ (مشرق ١٩٠٦ ص ٣١٥) . انتخب بطريركاً في ١٥ آب ١٦٤٤ بعد وفاة عميرة وعقد مجمع حراش ٥ ك ١ ١٦٤٤ وقد ارسل الشدراوي الى رومية لقضاء مصالح الطائفة واليه بلّا عبد النال الخيجيان بعد ان جحد ضلال ابائه فارسله الى رومية سنة ١٦٤٦ ودافع بعزم عن حقوق الكرسي البطريركي ضدّ الطامعين به . ألف غراماطيقاً سريانيًّا طُبع برومية وطبع شحيماً صغيراً . انتقل الى راحة الابرار ٣ ت ٢ ١٦٤٨ ودفن في العاقورة في كنيسة مار بطرس

وفي ٥ ت ١ من تلك السنة كتب الحبر الاعظم اوربانوس الثامن الى البطريرك يوحنا مخلوف يثني على الامير فخر الدين ويأسف لعدم تمكنه من مساعدته ليحقق نياته الراقية الى استقلال بلاده ويدعو له بالتوفيق ويبارك الخازنيين والجبيشيين ويطرئ المطران جرجس مارون صاحب المساعي الحثيثة في مصالح الطائفة ويختم بهذه الكلمات التي تدلُّك على سمو منزلة المطران جرجس عميرة في عيني الحبر الاعظم . «اما نحن فلن ندع مجالًا للكنيسة ان تلومنا على تهاملنا بينما انتم تستصرخون اوربة لانقاذ الشرق بصوت هذا الامير العظيم الشأن (فخر الدين) ونحن نمنح اخوتكم ومطران اهدن نائبكم البطريركي انما وكيلي المملكة السماوية ونوري الكنيسة الشرقية البركة الرسولية ونعدكم بحمايتنا»

(لها بقية)

المقامة الحيرامية

— نجس بنجس "

بقلم الاديب الاستاذ يوسف غلبوني

(المشرق) ترفّ هذه المقامة الواقعيّة الى صاحب الجريدة الماسونيّة «حيرام» المدعو توفيق طانيوس الذي بعد ان علّم مدّة في مدرستنا الاسكندريّة وحلّف مرارًا انّ لا علاقة لهُ مع ابناء الارملة خلع العذار وطلّق امرأتهُ الصالحة واقترن سفاحًا بنيرها فظنّ انهُ باستناده الى الماسونيّة ونشره جريدة من صبغتها وطعمتها « بالجزويت » يرحض صحيفتهُ السوداء . فهيهات ! اما ما نقلهُ عن بعض الملحدين او اعداء اليسوعيين فكذبهُ ظاهر وفنّدناهُ مرارًا بل وعدنا بجائزة مَنْ يستطيع ان يثبتهُ بالبرهان

سرتُ منذ اسبوعين الى ندوة احد اعيان بيروت المسلمين من رجال الحل والربط فبعد السلام دار بيننا حديث صادقٌ نرويه هنا بحرفهِ الواحد وفيهِ عبرة لكل معتبر من المشايعين للماسونيّة

قال الوجيه : ألا تستعدّ للرحيل من هذه البلاد ؟

قلتُ : وما الداعي الى الرحيل ؟